البرق والرصد

للشيخ فؤاد باشا الخطيب

أيها البرقُ إن بلغتَ الشآما ... حيِّ عني قصورَها والخياما
أنتَ نعمَ الرسولُ يحملُ شجوي ... حين لا يأمنُ الانامُ الأنامَا
نفختْ فيكَ آيةُ العلمِ رُوحاً ... خوّلتكَ البيانَ والالهاما
وأفاضت عليكَ سِحراً حلالاً ... كان في الغابرينَ سحراً حراما
تركبُ السلكَ تارةً ، وأوانا ... تَسطُا الريحَ واثباً والغماما

***

قُل لمنْ يوجفُ الركابَ خفافاً ... ولمنْ ناءَ بالخطوبِ جساما
ويحَ أمسي إن كنتُ أهبطُ رمسي ... نازحَ الدارِ مُوجَعاً مُستهاما
يومَ يَرمي القضاءُ بالنفسِ رمياً ... منطفا (الارضُ) تجذبُ الاجساما

***

كرةٌ تهبُ الفضاءَ وتَطوي ... في مداهُ القرونَ والأعواما
تتراءى (والشمسُ) دونَ مُناها ... دَوَرَاناً مِنْ حولها وهياما
كفراشٍ يحومُ حولَ لهيبٍ ... أجلٌ ساقهُ اليهِ فحاما
ذاتُ وجهينِ يشهدانِ عليها ... كلَّ يومٍ نهارَها والظلاما
فهي من جانبٍ تكونُ ضياءً ... وهيَ من جانبٍ تكونُ قتاما
كوجوهِ المنافقينَ وأشقى ... من جوارِ المنافقينَ مُقاما

***

نسجتْ من غلائلِ الشَّبتِ بُرداً ... واستعارتْ من السحابِ لثاما
وتوارتْ في ظاهرٍ مطمئنٍّ ... تحتهُ النارُ تستشيطُ ضراما
كمنيها أو أن حقدَ بنيها ... فوقَ ما أضمرتْ جوًى وانتقاما

***

تنفثُ النيظَ مارجاً ودخاناً ... فتشقُّ الوهادَ والآكاما
وتبثُّ الذي انطوى من لظاها ... سُحُباً زرَّةً وسيلاً رُكاما

ضجَّ منها سعيدُها وقديماً خدَّدتهُ السيولُ عاماً فعاما
كخدودِ الباكين سحَّ عليها مهرقُ الدمعِ صيِّباً وسجاما
ولكم سدَّدَ القضاءُ إليها من خلالِ (المذنَّباتِ) سهاما
تُلدُرُ كلَّ فترةٍ وعظاتٌ أذنَ اللهُ أن تَرُنَّ لِماما

***

إيهِ (يا أرضُ) يومَ كنتِ خلاءً هل أحسَّ الحطامُ فيكِ الحطاما
فتملتِ وحشةً وانفراداً وتغلغلتِ في الوجودِ اقتحاما
فتمخَّضتِ بالرواحفِ طوّاً لكِ تنسابُ في الفراءِ سواما
طلعةً غُبَّرٌ وجسمٌ دميمٌ يصفُ القبحَ هامةً وسناما
كخطوطِ الوليدِ اولَ عهدٍ عرفَ الخطَّ فيهِ والأقلاما

***

نشأتْ ثمَّ اعقبتْ ثمَّ بادتْ وقطعتِ الصلاتِ والأرحاما
وولدتِ الأنامَ بعد ليالٍ ثقلتْ وطأةً وشطَّتْ مراما
فشهدتِ الحياةَ يومَ استهلتْ فيكِ واستقتلتْ عليكِ زحاما
جئتِ سقطاً بهمْ وطالَ عليهمْ أمدٌ ينشدونَ فيهِ التماما
أقضاءً ولذَّهم واضطراراً بعد لأيٍ أمْ شهوةً ووحاما
لستُ ادري وليتني كنتُ أدري كيفَ ذقتِ المخاضَ والآلاما
فسلِ الحيَّ كيفَ يطعمُ منها بسلامٍ ؟ وأينَ يبغي السلاما
راضَ هوجَ الرياحِ حتى امتطاها ذُللاً أسلستْ اليهِ الزِّماما
واستباحَ البحارَ فوقَ جوارٍ منشآتٍ تُطاولُ الأعلاما
خضعَ العلمُ في يديهِ ولكنْ مسخَ العلمَ فتنةً وأثاما

***

فانقصي ما استطعتِ ايتها الأرْ ضُ فهيهاتَ ترغمينَ النظاما
فانقصي منهُ ذرَّةً أو فزيدي وانظري كيفَ ينفسُ الاجراما
ممسكٌ بالوجودِ علواً وسفلاً قدرةُ اللهِ سخرتهُ خطاما
كنتِ بالأمسِ شعلةً أو سديماً فاحذري البدءَ أن يكونَ ختاما